الأردن: إقالة الأمنيين وسياسة «النوم مع الشيطان»

■ حميدي العبدالله

اعتراف رسمي أردني بأنّ إطاحة القادة الأمنيين وعلى رأسهم وزير الداخلية ومدير الأمن العام كانت له خلفية سياسية أمنية متصلة بسيطرة الجماعات الإرهابية المتطرفة على مدينة معان الواقعة جنوب المملكة الأردنية الهاشمية.

ومعروف أنّ مدينة معانٍ شهدت في نهاية عقد الثمانينات من القرن الماضي تحرّكاً شعبياً واسعاً، وحدثت صدامات مع أجهزة الدولة جرى تطويقها بموافقة الملك الأردني الراحل حسين، بالعودة إلى المسار البرلماني وإجراء انتخابات نيابية علّقت منذ احتلال الكيان الصهيوني للضفة الغربية عام 1967.

تكرّرت انتفاضات معان أكثر من مرة على امتداد العقود الثلاثة الماضية، وبعد عام 2011 خرجت المدينة بعد مواجهات عن سيطرة الدولة الأردنية والسيطرة الأمنية، إذ تتواجد أجهزة الدولة الإدارية داخل المدينة، ولكن الأجهزة الأمنية تنتشر في محيطها، وباتت المدينة بمثابة «مدينة محرّرة» ويجاهر تنظيم «داعش» بالتواجد داخلها حيث سيّر التظاهرات، ورفع المتظاهرون أعلام ورايات «داعش».

لا يمكن فصل ما جرى من تغييرات أمنية، بذريعة الفشل والتقصير، عن السياسة الرسمية العليا المعتمدة من قبل أعلى السلطات، أيّ الملك الذي له وحده الحق في رسم السياسات العامة للأردن. إذ تحت تأثير تحالفه مع الولايات المتحدة والدول الخليجية ساهم بقوة، ولا سيما في السنتين الماضيتين، في فتح أراضيه وحدوده أمام الإرهابيين للقتال في سورية، ومعروف أنّ قادة التنظيمات الإرهابية، وتحديداً المرتبطة بتنظيم «القاعدة» التي تنشط في محافظة درعا غالبيتهم من الأردنيين والسعوديين.

وبرهنت تجارب عديدة، وتحديداً تجارب باكستان منذ الثمانينات أنّ أيّ دولة تفتح أراضيها وحدودها أمام الإرهابيين، فإنها سوف تدفع عاجلاً أم آجلا ثمن ذلك. بمعنى آخر باكستان التي شكّلت قاعدة لتدريب وتسلل الإرهابيين إلى أفغانستان في ثمانينات القرن الماضي، عجزت لاحقاً عن إخراج كلّ الإرهابيين من أراضيها، بل إنّ جزءاً من مواطنيها تأثر بطروحات الجماعات الإرهابية والتحق بها، وعمل على نشر مفاهيمها، وأنشأ مرتكزات شعبية لها في مناطق معينة في باكستان، وأدّى هذا لاحقاً إلى تشكيل تنظيمات إرهابية باكستانية تحارب الدولة والجيش الباكستاني، ولا تزال هذه التنظيمات من أمثال «طالبان باكستان» تنشط وتشنّ الهجمات يومياً على الجيش ومؤسسات الدولة، وحوّلت مناطق في باكستان، إلى ملاذات آمنة لها. اليوم تتكرّر التجربة ذاتها مع الأردن، وبالتالي فإنّ إقالة المسؤولين الأمنيين لا تقدّم ولا تؤخر، وجاءت متأخرة جدا، ومن يجب أن يسأل على هذا الصعيد هو الجهات التي سمحت للإرهابيين بالتواجد على الساحة الأردنية، حتى لو كان الهدف استهداف دولة مجاورة مثل سورية، لأنّ ارتدادات هذا التواجد إلى داخل الأردن كان متوقعاً ولم يكن حدثاً مفاجئاً.

حين يصبح التحرير حالة إنسانية تصنع الشمس

■ جهاد أيوب

في عيد التحرير والنصر كانت الصورة مختلفة عن صور العرب، علّمونا أن نخاف مغتصب أرضنا ومزوّر تاريخنا فكانت نتيجة المقاومة عكس علومهم، درّسونا أنّ الدفاع ليس حقاً بل الثرثرة هي الهدف والمطلب فاختصرت المقاومة القول بالفعل حتى خلعتهم من المنطق، أخبر الأعراب أصحاب الوجع على كبت الصوت والابتعاد عن اكتشاف معانيه فزرعت جهود أسود الأرض رايات مغايرة عما يرغب فيه أهل التعصّب والغدر ليصبح تحرير الكلمة والروح والأرض حالة إنسانية تختصر الوطن والإنسان وتصنع الشمس... نعم لم يعتد الكثيرون من حكامهم، ولم يكتب شعراء بلاطهم، ولم ينحت نحات دجل فنونهم وأدبهم، ما حدث في أصغر بلاد الأرض لبنان، ومعجزة الشرق جبل عامل، يومها أشرقت الشمس من الجنوب على كلّ الأرض، وتغيّرت مواعيد صلاة البطولات، والكلّ توضّأ من ترابه حتى تفاخرت بواطن الأرض بما حملت...!

في عيد التحرير أربكت خطوات من اتهم أهل المنابر وأصدقاء التلال وعشاق المرتفعات وكتاب القصائد بالمغامرة، وبأنهم يأخذون الوطن إلى المجهول... لم تكترث سواعد التواضع لخواء اتهاماتهم وأكملت المشوار حتى سقط الشهيد ونبتت شجرة العيد، زرعت أشجار التحرير من دماء النصر وكللت أغصانها بصور شباب آمن فقرّر أن يقاوم دون منة أو تحميل أهله الجميل، فمنهم من ثبتنا جراء شهادته في عمق الأرض، ومنهم مَن لا يزال يزرع الجذور كي نتصالح مع الطبيعة ونصل أعماق التراب.

لم يكن الإنسان هو المقاوم فقط بل كلّ شبر من بلادي جاهد وساند وحاول ان يواكب سيرة الأبطال، للسنديانة ظلال حمت أهل الهمم، وللسهول عطفها الفواح كأمّ تراقب حفيدها كي يكبر أمام ناظريها، ولصخور شكلت ثنائية مع جسد تلامست أنفاسه مع رائحة الأرض حتى غدا منها... وللماء عنفوانها وصوتها الهادر الحرّ بعد انكسار وسجن أحياء يعرفون قيمة الريّ والزرع، هناك حيث الطيور هجرت المكان عادت محمّلة بوشاح النصر مع خطوات أقدام لا تعرف الهزيمة، هناك بكت الأسطورة لأنها أصبحت من لحم ودماء فعانقت الواقع بسلاح الفعل والحقيقة...

نعم لكلّ دوره في فعل أهل التواضع حيث التحرير... نعم لحبة التراب تغريده الشوق لأقدام هادرة من نبع أهلها، كانوا يسيرون على طرقات وعرة كصغار حفاة لا يهابون الشوك ويحلمون بالإنسان الحر، واليوم يحمونها بنعال تشرّفنا وببنادق من نور تغرس فينا الآمال، هرولوا سعداء لتراكم فينا حكاية كادت أن تندحر وتنتحر لكن نظرات قاسية وحنون من جنود المقاومة قلبت الهرم وتفوّقت على تاريخ حفر بحبر من ذهب على أجساد شباب حمل بندقية صنعها من تراب حقولنا، وحقولنا من لحم مقاومينا، ومقاومينا من طين الرب وعنفوان الحق...

فقراء ساروا إليها كأنهم أغنياء دون خجل أو قلق أو خوف منهم لأنّ الروح تعرفهم جيداً، وعوائل مؤمنة عاشرت الصبر والصمت منتظرة ظلالهم كي تصبح الفصل المكتوب ومتشوّقة لأحضانهم الكبيرة والدافئة، لم تبخل الأرض على رجالها فبادروها بالحماية بعيداً عن الاستخفاف أو الجبروت، لذلك لم تهجرها الذاكرة التي رسمتهم فيها، فسارعت واحتضنت أجسادهم المعطرة بدمائهم تاركة لأرواحهم الزكية الطاهرة حصارنا وحماية حدودنا... وكلما سقط عطرهم على الأرض كلما نبتت أشجار الأرز والزيتون والتين والسنديان وتواضع وهج الشمس انحناء لهم، وكلما سقط المطر تفوح رائحة الأرض بعطر مجاهدينا لتنتشر في كلّ مكان اشتاق إليهم، وكلما ضاقت الدنيا بأفعال نابية من عدو حاقد لاحت سواعد سمراء لا تعرف التعب ولا الغدر كزخات ماء على تربة شربتها حتى تبخرت وصعدت إلى السماء وعاودت بالهطول فرحة متسامحة، حينها تعطرت زهورنا بعد أن أنهكت من تعب انتظار أجدادنا...

وهناك... في ذاك اليوم لاحت السماء بنسمة هواء منشدة الصلاة والركوع على أقدام المقاومين... لقد اختلفت حكاية جدتي، وروايات الكتاب، ظهر عنفوان الأمكنة على غير عنفه حاملاً البخور لأكفان الشهداء، وطارت النسور عالية ترفرف براية المقاومة، وكانت أم الشهيد تراقب حتى أطلّ ابنها من قبس السماء يطلب منها الرقص وتغريده فرح العرس، وأخذ جدّي المسنّ بعصاه متحدّياً الزمان والجبال والصخور رامياً عجز نظراته التي توضّحت مشاهدها بعد صبر سيجارته التي لم تعرف الانكفاء، وسار مع الشباب بدراية العارف بأسرار الانتصارات، أما طفلي المبتسم والمندفع إلى حياة كريمة وهنية عانق كلّ سلاح لم يعد يخيفه، وطفلتي روت الورود وحديقة بقايا الدار بعد طول غياب، وسكنت عمتي تحت شجرة بلادي تحيك الظلّ، وتكتب بدم الخوف أبجدية المقاومة في الكون، أما خالتي التي انتظرت عريسها المرابط بين البحر والنهر والسهل والجبل ارتدت فستان عرسها، والتفت بشال حلم حملته إليها أم شهيد، أم أهدت ابنها السلاح وحافظت عليه بعد الاستشهاد، وفتاة درست في صفوف الأيام تصلي كي يعود الحبيب المقاوم فالتقت به عريساً وبيده وردة تزيّن عرسهما يوم التحرير...

عودي يا أمي إلى عرين طفولتنا، لقد رضعنا حليب النصر فلم يعد يخيفنا إن جف حليبك، عودي يا جدتي إلى أريكة السنون وطرّزي لنا من حكايات رجال الله العبر والدهشة والانتصارات وطيب معادن الرجال، وتذكر يا جدّي أنك سلّمت الراية لمن هو أهلها في 25 أيار حيث عيد التحرير والنصر، عيد كرامة الأوطان، وروح الأحرار في زمن تكالبت فيه خيانات الأعراب وغاب عنه عدل الإنسان في الغرب والشرق، وحاول تشويهه صهاينة الزمان... في 25 أيار حيث نحن...

المبادرة الفرنسية والفاتيكان والمفاوضات؟

■ رامز مصطفى

في تزامن بعيد عن المصادفة، تطفو على سطح الجهود المبذولة دولياً المبادرة الفرنسية واعتراف الفاتيكان بالدولة الفلسطينية، من أجل دفع كل من السلطة الفلسطينية و«إسرائيل»، للعودة إلى طاولة المفاوضات. تزامن لربما يمهّد الطريق أمام جهود أميركية يعد أصحاب البيت الأبيض بتنشيطها بعد حزيران المقبل، أيّ بعد الانتهاء من إنجاز الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة دول الـ5+1.

المبادرة الفرنسية وما سُرّب منها في وسائل الإعلام في مكوّناتها ومضامينها جاءت لتتحدّث أساساً في نقاط ليست في مجملها تحمل مخاطرها على القضية الفلسطينية:

أولاً: البحث عن حلّ عادل ومتزن وواقعي لقضية اللاجئين الفلسطينيين، وتشدّد على أنّ ذلك سيكون مستنداً إلى «آلية تعويض».

ثانياً: «تطبيق مبدأ حلّ الدولتين لشعبين، مع مطلب الاعتراف بالطابع اليهودي لإسرائيل».

ثالثاً: وتنصّ على أنّ القدس تبقى عاصمة للدولتين.

رابعاً : إقامة دولة فلسطينية في حدود الرابع من حزيران 1967 منزوعة السلاح.

خامساً: تبادل مناطق بمساحات متفق عليها، وتستجيب للاحتياجات الأمنية «الإسرائيلية».

سادساً: مطالبة الطرفين بوضع معايير تضمن أمن «إسرائيل» وفلسطين، وتحافظ بشكل ناجع وفعّال على الحدود، وتصدّ الإرهاب وتدفق الوسائل القتالية، وتحترم سيادة دولة فلسطين المنزوعة السلاح، والانسحاب الكامل للجيش «الإسرائيلي» على مراحل خلال فترة انتقالية يتمّ الاتفاق عليها.

سابعاً: تطبيق مبدأ حلّ الدولتين لشعبين، مع مطلب الاعتراف بالطابع اليهودي لـ«إسرائيل».

ثامناً: في حال فشل المفاوضات بين الطرفين، والتي ستستمرّ مدة لا تتجاوز الـ 18 شهراً. فإنّ الحكومة الفرنسية ستعترف رسمياً بالدولة الفلسطينية.

المبادرة الفرنسية بما احتوته من عناوين لا تبتعد كثيراً عن تلك الأفكار التي تسعى وراءها إدارة الرئيس أوباما منذ زمن بعيد إلى تسويقها عند الطرف الفلسطيني قبل الطرف «الإسرائيلي». تارة بزيادة حجم المساعدات المالية، وتارة أخرى بالضغوط المالية والسياسية. وهي بالتالي ليست بعيدة عما يجهد بشأنه نتنياهو ومن خلفه مكوّنات الكيان وأحزابه السياسية والدينية، الذين يتقاطعون عند مطلب الاعتراف الفلسطيني بـ«يهودية الدولة»، بل ويصرّون عليه شرطاً مسبقاً لحلّ الدولتين وهذا ما أكد عليه رئيس وزراء حكومة الكيان خلال استقباله وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي موغريني، قائلاً إنه «على استعداد لإنهاء الصراع مع الفلسطينيين لكن إنّ اعترف الفلسطينيون بإسرائيل على أنها دولة يهودية». وبالتالي شطب ملف اللاجئين الفلسطينيين، أيّ حق عودتهم إلى ديارهم التي طردوا في العام 1948. وهذا جوهر المبادرة الفرنسية، وبمعنى آخر فإنّ المبادرة ستمثل اصطفافاً أميركياً فرنسياً «إسرائيلياً»، في مواجهة السلطة ومفاوضيها، الذين سيجدون أنفسهم محاصرين بضغوط أميركية وأوروبية خدمة للرؤية «الإسرائيلية» وحكومة نتنياهو. ولا يُستبعد أن تصطفّ إلى جانبهم كلّ من مدريد ولندن بعد أن تسلمتا من باريس نص المبادرة، وإنْ بشكل غير رسمي. ويزعم أصحاب المبادرة أنّ الهدف من ورائها هو العمل على إنجاز تسوية نهائية لا موقتة بين الفلسطينيين و«الإسرائيليين». وطريفها أنّ طرح المبادرة وتوقيتها يتصل بحرص فرنسي رسمي أن تتمّ التسوية قبل انتهاء ولاية الرئيس الفرنسي الحالي فرنسوا هولاند!! وبذلك يودّ هولاند أن يحذو حذو الرئيس أوباما الذي يطمح أن يحقق إنجازاً استراتيجياً في إنهاء الملف النووي الإيراني. متناسياً أوباما أنّ التاريخ أيضاً سيسجل له إنجازاً استراتيجياً آخر هو تفتيت العالم العربي وإدخال دوله في أتون صراعات عرقية وطائفية ومذهبية، لا أفق لانتهائها، أو الخروج منها.

وفي المقلب الآخر يأتي اعتراف الفاتيكان بالدولة الفلسطينية في ذات التوقيت، ليؤشر بشكل أو بآخر أنّ الفاتيكان مطلوب منه دور ليلعبه في هذا السياق. والاعتراف يقع في خانة الأدوار أو الجهود المبذولة على غير صعيد أو مستوى بخصوص دفع العملية التفاوضية بين الفلسطينيين و«الإسرائيليين» قدُماً نحو الجلوس مرة جديدة حول طاولة المفاوضات، ومحاولة القول إنّ خطوة كهذه يجب ألاّ تُعطى أهمية كبيرة، وهي لم تتعدّ كونها خطوة معنوية أراد بابا الفاتيكان فرنسيس أن يُظهر من خلالها نوعاً من التعاطف مع معاناة الفلسطينيين. وهذه مقاربة غير مقبولة، على اعتبار أنّ الفاتيكان والبابا على رأسه يتجاوز سلطته الدينية إلى لعب أدوار سياسية. وما أظهرته نتائج المباحثات التي جرت بعيداً عن الأضواء بين الكوبيين والأميركيين، والتي أفضت إلى تحسّن ملحوظ في العلاقات، قد تنهي في القريب عقوداً من القطيعة بين البلدين. يؤكد أنّ الفاتيكان والبابا فرنسيس قد يلعبان دوراً ما في العملية السياسية إلى جانب أطراف دولية وحتى إقليمية. وهذا ما أوضحه السيناتور الأميركي ديربن لوكالة «رويترز» حين قال: «لعب الفاتيكان دوراً كبيراً». وأضاف أنّ الكاردينال خايمي أورتيجا كبير أساقفة هافانا شارك أيضاً في الجهود الديبلوماسية.

لقد عوّدتنا المبادرات أو الخطوات أو الأدوار التي تُقدم عليها الدول، أو تلعبها المرجعيات الدينية في ما يخصّ القضايا ذات الحساسية العالية في المستوى الاستراتيجي. أن تكون بالمصادفة، أو بنت لحظتها، أو خطوات ومبادرات وأدوار منفردة وغير منسّقة. بل هي مشغول عليها بإحكام وإتقان بين دوائر دولية ذات أوزان مؤثرة أو فاعلة. ولكن المؤسف، بل والكارثة أنّ هذه الحراكات السياسية جميعها لا تلحظ أو تأخذ في الحسبان المصالح الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني. والسؤال هل لأنّ هذا العالم المتمدّن من طبائعه الظلم؟ نعم قد يكون ذلك وسياق مظالمه بادية في كلّ مكان تقع يده عليه. ولكن الضعف والوهن والرهانات الفاشلة على الآخرين واللهاث وراء سراب الوعود على حساب الحقوق هو من شجع ويشجع كلّ هؤلاء في التجرّؤ على حقوقنا التاريخية.

روسيا إلى العراق وتدمر ضحية الاستعراض

لا يزال التوقيع النووي الايراني مع الغرب سيد الاستحقاقات المقبلة على المنطقة والعالم، فمنذ آخر جلسات المفاوضات بين الدول الست و طهران في سويسرا حتى اليوم، أيّ قبل أقلّ من شهر تشتعل المنطقة بنار كلما أقبلت على الختام فتحت لهيبا آخر في ملف آخر.

هذا بالإضافة الى متغيّرات عسكرية وسياسية كبيرة طغت على المشهد من عزل وتعيين في الديوان الملكي السعودي بشكل لافت ومصيري، بعد وفاة الملك عبدالله الى قمة كامب ديفيد بين الخليجيين وأميركا، الى حرب مفتوحة في اليمن، الى تدهور أمني في جسر الشغور وإدلب، وتصاعد الإرهاب فيهما، ومعارك مصيرية في القلمون بين حزب الله والجيش السوري من جهة و«النصرة» و«داعش» من جهة أخرى، وسط تقدّم واسع النطاق لمحور المقاومة، وصولاً اليوم الى سقوط الرمادي العراقية وتدمر السورية في يد الإرهاب.

لم يمرّ ولن يمرّ أشدّ وأعنف من شهر أيار سخونة وتصعيداً عسكرياً في مجمل الملفات العالقة من الملف السوري فالعراقي واليمني، أما اللافت فهو أن التصعيد يزداد كلما اقترب موعد التوقيع، وكأنّ الدول الإقليمية تحاول الاستفادة مما تبقى من الوقت قبل 30 حزيران، موعد تغيير المشهد برمّته.

أمنياً تصاعد القلق مع دخول الإرهاب من جديد الى تدمر السورية، هذه المدينة التاريخية التي تحوي أهمّ وأعرق الحضارات التي مرّت على سورية، فتزداد معها مشاعر القلق والتساؤلات، إلا أنّ الواقع يعكس فشلاً جدياً في صفوف المسلحين، فتدمر التي يتطلع العالم إليها، ويتحسّب الناشطون ومنظمات المجتمع المدني والأمم المتحدة حتى الأزهر في مصر من تدمير الآثار فيها وسرقتها، ستحقق الهدف الذي يسعى اليه «داعش» بإعادة إحياء هالة البطش والقدرة التي فقدها التنظيم تدريجيا.

يعرف الإرهابيون تماماً أن حشد أنظار العالم إليهم لن يكون سوى بهذا الأسلوب الاستعراضي المتقن يخرجهم من كلّ الفشل الذي وقع في صفوفهم في معارك القلمون الحاسمة، حتى انّ إعلام «النصرة» حسب المصادر، عمد الى التخفيف من نقل أخبار القلمون، لا بل أمرت عناصرها بذلك من أجل التخفيف من أهميتها والتقليل من شأنها وكان المعركة التي يخوضها حزب الله والجيش السوري هناك ليست بهذه الأهمية التي يدعون.

الهزائم المتتالية التي لحقت بـ«داعش» و«النصرة» في الآونة الاخيرة تحتم عليهم اللجوء الى هدف يفعل حضورها دولياً، خصوصاً بعد الضربات العسكرية الاستخبارية الاميركية في سورية والعراق، والعمليات النوعية التي نفذتها قوات اميركية خاصة سقط فيها قادة رئيسيون من هذه الحرب.

التصعيد استكمل لتدخل «داعش» الرمادي، وهي من أبرز المناطق العراقية، والدخول الذي جاء بطريقة مباغتة على أهميته يحتم اتخاذ خطوات كبرى من قبل المجتمع الدولي، ويؤكد أولاً وأخيراً انّ التحالف الدولي سقطت أهدافه، وبالتالي فإنّ هذا التصعيد سيشرّع للعراقيين المطالبة بتسليح فوري كان لروسيا دور واضح فيه، فقد طلب رئيس الوزراء العراقي السلاح فوراً ولبّته روسيا.

التلبية الروسية هذه أمام أعين المجتمع الدولي لا يمكن ان تكون سوى دور روسي اساسي في العراق والمنطقة قد يكون فعلاً اول نتائج الاتفاق النووي مع الإيراني ومفاعيله التي سترخي بظلالها على المنطقة.

التصعيد سيقابل بتصعيد وبخطوات أسرع، ورب ضارة نافعة.

«توب نيوز»

لماذا حلال لأوباما؟

منذ سنة والرئيس الأميركي يبشّر بأنه سيجلب رأس «داعش»، ويخرج كلّ مرة بوصف جديد للحرب عليها.

شكّل أوباما لهذه الحرب حلفاً خاصاً بقيادته، وقامت طائرات التحالف بخمسة آلاف غارة خلال مهامها.

خسرت «داعش» مرة في وجه لجان الحماية الكردية في عين العرب (كوباني)، بعدما احتلتها في حرب أوباما، وخسرت في تكريت في وجه «الحشد الشعبي» بعدما احتلتها من قبل، وفشلت حرب أوباما في استردادها.

يريد أوباما احتكار الحرب ويضع الجميع أمام معادلة من يدخل على خط الحرب من خارج التحالف هو عدو، فيربك سورية والعراق وإيران لأن ليست قضيتهم الآن الاشتباك مع أميركا.

تسقط الرمادي وتدمر بيد «داعش» في ظلّ حرب أوباما.

يخرج أوباما ويقول إنه تراجع تكتيكي، تقبل وسائل الإعلام العربية والغربية وتردّد كالببغاء وراءه أنّ الرمادي وتدمر ليستا الحرب كلها.

عندما يقع شيء بهذا الحجم لدولة بهذا الحجم يقول رئيسها هذا الكلام، لماذا لا يحق للرئيس الأسد القول إنه تراجع تكتيكي، وهو الذي يقاتل مئة دولة منذ أربع سنوات أولها أميركا وآخرها «القاعدة».

التعليق السياسي

الإدراكات الروسية لحالات الخلع الاستراتيجية ولحركة التاريخ

في أيّ سياقات جاء تعيين جون ماكين مستشاراً للرئاسة الأوكرانية؟

محمد احمد الروسان*

عبر هذا التحليل السياسي وحالة الدفع التاريخي الحادّ السائدة في العالم هذا الأوان، سأحاول أن أجمع وأكثف كمّاً من المعلومات، فنحن لا ننجّم ولا نقتحم علم المستقبليات الذي يعتمد نظريات فلسفة التاريخ، عندما نبحث شكل العالم المقبل بعد ضمّ القرم، فنحن أمام يالطا جديدة أنهت يالطا القديمة، والفاعل الوحيد والأوحد في التاريخ وحركته وفي صناعة المستقبل هو الله ربّ الحياة والموت، والناس والجنّ مجرّد أدوات يستعملها الخالق سبحانه لتحقيق التوازن في هذا العالم وعبر التدافع الأفقي والرأسي.

وبين حالات الخلع الاستراتيجي ومحفزاته وتراكيبه في المنطقة ومن المنطقة، والإرباكات الأميركية المقصودة للشرق الأوسط لغايات هيكلة وهندرة الوجود الولاياتي لهذا النفوذ، تهتمّ الدولة العبرية (الكيان الصهيوني) بدولة أذربيجان، والأخيرة كونها تعتبر النقطة الجيواستراتيجية الأكثر أهمية في منطقة أوراسيا قلب العالم القديم، وتمثل بوابة السيطرة على منطقة حوض بحر قزوين (بحر الخزر بالتسمية الأيرانية) الغني بالموارد النفطية والغاز الطبيعي، وعن طريق أذربيجان يمكن بسهولة تهديد منطقة قلب الدولة الحيوي في إيران، وذلك لقربها الشديد من العاصمة طهران، والمناطق الإيرانية الفائقة الأهمية والحساسية، إضافة إلى وجود حجم ليس بالقليل لما يعرف بـ(الأقلية الأذربيجانية) الموجودة في شمال إيران، وتتميّز بمشاعر عداء قوية إزاء المجتمع الإيراني، وتنشط داخلها حالياً بعض الحركات الانفصالية التي تطالب بالانفصال عن إيران والانضمام إلى أذربيجان، وذلك بدعم المحور الأميركي الغربي الإسرائيلي البعض عربي، ولأنّ أذربيجان تشكل نقطة تموضع كقاعدة يمكن تهديد المنشآت الروسية في مناطق منابع النفط الروسي منها، ومحطات الطاقة الكهرومائية الروسية، وأيضاً منطقة جنوب غرب روسيا التي تتمركز فيها الأنشطة الصناعية الروسية، ولأنّ أذربيجان تشكل بطريقة أو بأخرى محطة لدعم الحركات المسلحة في آسيا الوسطى ومنطقة القفقاس، وبالتالي فإنّ دعم هذه الحركات عن طريق باكو من الممكن أن يؤدّي إلى المزيد من القلاقل في هاتين المنطقتين.

أحسب وأعتقد أنّ أوكرانيا أولوية أميركية أولى وهي نتاج الحدث السوري، وإيران أولوية ثانية وهي الحلقة المستهدفة استراتيجياً عبر تفاوض السداسية الدولية معها من ناحية أكثر عمقاً، وعبر العسكرة الجارية للحلقة السورية من خلال الحرب المركبة، والملف الفلسطيني أولوية ثالثة، والملف السوري بشكل عام أولوية رابعة (لمزيد من استنزاف النسق السياسي فيه، وخاصة الجيش العربي السوري العقائدي، والأخير هو الفاعل في الداخل السوري) رغم الشعور الغربي بقلق شديد، نتيجة للغة الميدان العسكري السوري لصالح دمشق، وانْ كانت أحياناً لغة الميدان مثل عقارب الساعة المترنّحة تميل باتجاه لصالح طرف، وتميل باتجاه آخر لصالح الطرف الآخر، والرسالة وصلت إلى الرياض عبر أوباما مباشرة، وأنّ الجيش السوري خضع لإعادة هيكلة ميدانية عميقة وسيكولوجية بالغة الأهمية على مدار الأزمة السورية، وواشنطن تعمل على المتابعة وفي احتواء نتائج ضمّ القرم على المنظومة الدولية، بحيث لا يتمدّد النفوذ الروسي سريعاً في دول حدائقه الخلفية، ذات المجال الحيوي للأمن القومي الروسي، وهناك قراءة أميركية في تفسير نبرة الرئيس محمود عباس (أبو مازن) الأخيرة، حيث وجدت فيها واشنطن معالم لتدخل روسي واضح في إعادة إحياء اللجنة الرباعية، بينما أميركا تريد جعلها في يدها وحدها فقط، وبعيداً عن موسكو في الداخل الرباعي الدولي الراعي للمفاوضات، وكذلك بعيداً عن موسكو خارج الرباعي الدولي أيضاً.

وكلما ارتفعت بتفاقم عميق حدّة الكباش الروسي الأميركي، كلّما زادت حرارة التدمير الممنهج في سورية وتوسعت رقعة الإرهاب في المنطقة، وتوسع رقعة الإرهاب في الشرق الساخن وقلبه سورية، قد تغيّر وتبدّل كلّ المعادلات وتقلب الطاولة على رؤوس الجميع، وهذا يدفع العاصمة الأميركية واشنطن دي سي الى حالة من المجاهرة والإعلان بما صارت تقبله ضمناً، وهو بقاء الرئيس الأسد ونسقه السياسي بالرغم من معسول الكلام الذي تصرفه واشنطن لدول الخليج، والأخيرة تطرب آذانها له وتروّج وسائل إعلامها المجزوء له وتضخمه مع تباين في القراءات له (ما جرى في كامب ديفيد الخليجي واضح ولا داعي للنفخ فيه)، كلّ ذلك على شرط ضرب الإرهاب الأممي في المنطقة والعالم.

في المقابل هناك طرف أميركي فاعل وصقوري يتصل بحبل سريّ بالبلدربيرغ الأميركي يقوم بأدوار خطيرة، تشي بأننا أمام المرحلة الثانية من الحرب المركبة غير التقليدية في سورية وعليها، لتحسين شروط التفاوض الأميركي الغربي البعض عربي المرتهن أمام المحور المقاوم الممانع والمضاد، وهناك سلاّت من الضغوط المقبلة على الأردن لمزيد من توريطه في الحدث السوري، لنقل الفوضى اليه ولجعله (مثل اسفنجة) تمتصّ مخرجات المفاوضات الفلسطينية «الإسرائيلية» العبثية، مع استمرار المثلث القديم الجديد المتخلّق (التركي، القطري، السعودي) في صنع الطبخة الكبرى ذات الرائحة التي تزكم الأنوف.

ويلحظ العالم أجمع الفرق بين الأنموذج الروسي الصاعد كقوّة دولية عظمى، والأنموذج الأميركي الذي استنفد مخزوناته من سلاّت الكذب وقواميس الافتراء والغدر، والاستكبار والاحتقار والخديعة والإجرام، باسم الواقعية السياسية الانتهازية وعبر المكارثيين الجدد في الإدارة الأميركية، صدى المجمّع الصناعي الحربي وصدى البلدربيرغ الأميركي ونواة حكومته الأممية، حيث أخرجت واشنطن موسكو من مجموعة الثماني الدولية G8، لتعود هذه المجموعة إلى صفتها الأمبريالية G7 بدول سبع، كما أنهت كافة أشكال التعاون العسكري والمدني مع موسكو بما فيها مكافحة الإرهاب ومكافحة المخدرات ومكافحة الاتجار بالبشر، وأبقت أميركا على التعاون بين روسيّا والناتو في الملف الأفغاني، لغايات تأمين بعض انسحابات للقوّات الأميركية والناتو من أفغانستان، انْ صدقت الرؤى والنوايا الولاياتية الأميركية.

فإنّ دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على مدى انتهازية واشنطن، فهي تلغي ما يناسبها وتبقي ما يتفق ومصالحها الآنية الضيقة، فهي دولة تعاني من النرجسيّة والسوبر ايغو بشكل شمولي، وصار نفوذها المعنوي يتراجع بسبب مواقفها السياسية وتدخلاتها الأمنية غير الأخلاقية.

ومع ذلك أعطتها الفدرالية الروسية درساً في الأخلاق السياسية، حيث اعتبرت موسكو مسألة الانسحاب عبر أراضيها وعبر مجالها الجوي مسألة إنسانية صرفة بامتياز، حيث الخطورة كبيرة على سلامة القوّات الأميركية الاحتلالية والناتويّة عبر الطرق البريّة الباكستانية، حيث نشاطات عسكرية عميقة لجماعات (طالبان باكستان) المسلّحة، والأخيرة بدأت حوار مع اسلام أباد في محاولة مشتركة من الباكستان وواشنطن، لتأمين طريق بديل احتياطي للانسحابات العسكرية الاحتلالية الأميركية الأطلسية من أفغانستان عبر باكستان برّاً كخطّة بديلة، في حال تصاعد مروحة المواقف الروسية المتصاعدة كنتاج لحالات الكباش الروسي الأميركي، إنْ لجهة الديبلوماسي والسياسي، وانْ لجهة الاقتصادي والعسكري، وانْ لجهة المخابراتي والعلمي، وانْ لجهة الثقافي والفكري، وتداعيات كلّ ذلك على مشاعر العداء القومي والكراهية لكل أطراف معادلات الكباش الأممي.

كما نجد أنّ الولايات المتحدة الأميركية انتهجت سلوكاً فجّاً في التعامل مع من كانت تعتبره الشريك الروسي الاستراتيجي، حيث قامت واشنطن بتعليق التعاون بين وكالة «ناسا» في برنامج الفضاء ومؤسسة الفضاء الروسية، باستثناء النشاطات المتعلقة بمحطة الفضاء الدولية الروسية، والأخيرة بنتها موسكو وتستفيد منها أميركا في الأبحاث العلمية المتقدّمة، ومع كلّ هذه الانتقائية الفجّة غير الأخلاقية لواشنطن فإنّ الروسي لن يطرد الأميركي من محطته، وعلى قاعدة أنّ البحث العلمي هو ملك للبشرية جمعاء، وهذه قيمة علمية وإنسانية مضافة تدلّل على قوّة ورقي وتسام إنساني، للفدرالية الروسية ونموذجها الأخلاقي والعلمي المتنامي والراقي.

فموسكو وعبر فعلها وصبرها، تقول للولايات المتحدة الأميركية: نجمك أفل بسرعة، وحضارتك ستستقرّ في مزبلة التاريخ عبر حركة الأخير، وأنّ الفراغ ستملأه قوى جديدة صاعدة، وأنّ النظام الدولي الجديد المتعدّد الأقطاب، سيولد من رحم الأزمات ومن رحم متاهاتك السياسية والعسكرية والاقتصادية والعلمية الفجّة، وأنّ العالم استعاد عبر ميكانيزمات فعله ميزة وصفة العالم المتعدّد الأقطاب وهذا ما يدركه الجميع.

الإدراك الروسي

وعودة الى الإدراك الروسي لحالة الخلع الاستراتيجي في المنطقة والعالم وموضوعة أذربيجان، والدور «الإسرائيلي» في جلّ دول أسيا الوسطى، لديّ سؤال أطرحه على القارئ والباحث الكريم:

لماذا تزايد عدد النخب الاقتصادية «الإسرائيلية» في مناطق بحر قزوين وآسيا الوسطى وخاصة في أذربيجان، حيث تلك النخب ذات الخلفيات السياسية والمخابراتية وغيرها، والتي تبقى تملك خيوطاً وحبالاً سريّة تتغذّى من مجتمع المخابرات العبري الصهيوني ويتغذّى منها، كلّ ذلك بالتشارك مع المافيا «الإسرائيلية»، انْ لجهة الداخل «الإسرائيلي»، وانْ لجهة الخارج «الإسرائيلي»؟ ولماذا تتواجد كبرى وصغرى الشركات «الإسرائيلية» هناك مع سلّة محفزات مالية هائلة؟

لجملة الأسباب السابقة ومحفزات حزمها المختلفة، بجانب حزم وأسباب اقتصادية وعسكرية وأمنية استراتيجية أخرى، تعنى نواة ومخ الكيان الصهيوني بأذربيجان وموقعها ومكانتها، وتشجع جلّ الشركات «الإسرائيلية» الكبرى والصغرى للعمل هناك، مستفيدة من حزم التسهيلات الاقتصادية والسياسية والأمنية التي تقدّمها باكو لمن يريد الاستثمار فيها، كما تشجع يهود روسيا الذين هاجروا اليها في السابق بالهجرة الى هناك... الى باكو، كما فعلت وتفعل إزاء أوكرانيا ومنذ أكثر من عشر سنوات، حيث الدور «الإسرائيلي» تجلّى في الحدث الأوكراني الآن بالرغم من أنّ عدد اليهود الأوكران لا يتجاوز الربع مليون من أصل 47 مليون عدد سكّان أوكرانيا، والكلّ رأى الفيلسوف الفرنسي اليهودي الصهيوني برنار هنري ليفي في أوكرانيا وسط المتظاهرين، ومعه بعض حلفائه من المحافظين الجدد الأميركان كجون ماكين والذي صار مستشاراً للرئاسة الأوكرانية منذ أيام خلت.

وفي المعلومات، أنّ من أبرز العوامل التي ساعدت على ذلك، قيام «إسرائيل» بتشجيع اليهود الروس على القيام بالهجرة المعاكسة، أيّ دفع اليهود الروس المقيمين في «إسرائيل» للهجرة إلى أذربيجان، وتوفير الدعم اللازم لهم لإنشاء الشركات والمنشآت، على النحو الذي جعل من اقتصاد أذربيجان يقع بقدر كبير تحت سيطرة الشركات اليهودية و«الإسرائيلية»، وكذلك الحال فعلت وتفعل إزاء أوكرانيا.

إنّ وقوع أذربيجان تحت دائرة النفوذ الأميركية والقبضة «الإسرائيلية» الخانقة على اقتصادياتها، سوف يلقي بتداعيات كبيرة على الأمن الاستراتيجي في منطقة شرق المتوسط، وذلك لأنه يمثل مصدراً خطيراً لتهديد إيران، والضغط على المصالح الروسية بما يعوق حركة روسيا الداعمة للبلدان العربية، كذلك يؤدي إلى تهديد تركيا نفسها، لأنّ أنابيب نقل نفط بحر قزوين تنطلق من أذربيجان، وبالتالي يصعب على تركيا الاستقلال بقرارها بمعزل عن أذربيجان.

وبشكل عامٍ أنّ منطقتي القوقاز وآسيا الوسطى أو ما يُعرف إجمالاً بمنطقة أوراسيا كما أسلفنا، يمثلان الحيز الجيوسياسي الأكثر أهمية لمشروع الهيمنة الأميركية الذي تمثل «إسرائيل» شريكاً رئيسياً فيه، و«إسرائيل» قامت في السابق وتقوم بدور الوكيل الأميركي الذي يقوم بعملية توصيل دعم واشنطن دي سي، إلى حواضن أدواتها السياسية والاقتصادية والاستخبارية في أوكرانيا وجورجيا وغيرهما من دول الحدائق الخلفية للفدرالية الروسية، كما تقوم تل أبيب بدور قناة تمرير المعلومات الاستخبارية التي يتمّ تجميعها عبر الجماعات اليهودية المنتشرة في بلدان آسيا الوسطى والقوقاز، إلى الولايات المتحدة الأميركية عبر وكالة الأمن القومي الأميركية ومجتمع المخابرات الولاياتي الأميركي بشكل عام، وهذا ليس دورا جديدا بل هو قديم جديد ومنذ أيام حلف وارسو وصراعات الحرب الباردة، حيث ما يجري الآن هو أعمق من حرب باردة وأشرس من مواجهة عسكرية، كلّ ذلك عبر المسألة السورية والمسألة الأوكرانية الآن، حيث الأخيرة مع أسباب أخرى نتاج المسألة الأولى وعقابيلها.

تساوقت في الأهداف وتعاونت «إسرائيل» خلال فترة إدارتي جورج بوش الابن لجهة القيام بإشعال مشروع الثورات الملوّنة، وعلى وجه الخصوص في جورجيا وأوكرانيا، إضافة لذلك فقد سعت «إسرائيل» إلى توظيف قدرات الجماعات والمنظمات اليهودية في أوراسيا، للسيطرة على الأنشطة الاقتصادية والسياسية وبناء الكتل السياسية الموالية للغرب.

أذربيجان بدلاً من جورجيا

بعد فشل الثورات الملونة ونكسة نظام ساكاشفيلي الجورجي بدأت كما هو واضح معالم لاستراتيجية ديبلوماسية «إسرائيلية» جديدة في أوراسيا، وهي استراتيجية تقوم على معطيات ورهانات جديدة، وانْ كان الرهان في السياسة ليس يقيناً، حيث تراهن الدولة العبرية على أن يكون التعاون مع أذربيجان بدلاً من جورجيا، لأنّ أذربيجان توجد فيها حقول النفط والغاز، إضافة إلى خطوط نقل النفط والغاز من بحر قزوين (بحر الخزر) وبلدان آسيا الوسطى سيتمّ تمريرها عبرها، ويضاف إلى ذلك أنّ وجود علاقات الجوار (الإيراني الأذربيجاني) تضمن دوراً كبيراً من التوتر بسبب دعم أذربيجان للحركات الانفصالية الأذربيجانية الإيرانية، إضافة إلى قابلية النظام الأذربيجاني للتعاون مع «إسرائيل» في تنفيذ مخطط استهداف إيران.

كما تراهن «إسرائيل» على كازاخستان لتكون الشريك الرئيسي لها من بين بلدان آسيا الوسطى، بدلاً من أوزبكستان التي امتلأت بالحركات الأصولية الإسلامية، وكيرغيزستان وطاجيكستان اللتان أصبحتا أكثر ارتباطاً بروسيا، وتركمانستان التي بدأت تميل إلى التفاهم مع إيران وروسيا وتركيا. إنّ البلدربيرغ الأميركي (جنين الحكومة الأممية) يدفع إدارة أوباما وبعض الدول الأوروبية وحلف الناتو، من أجل الاعتماد على «إسرائيل» باعتبارها تملك مفاتيح كازاخستان الدولة الرئيسية في آسيا الوسطى، وأذربيجان الدولة الرئيسية في القوقاز الجنوبي.

العودة الأميركية إلى العراق!

أتفق مع غيري من الخبراء، أنّ العنوان الرئيسي لهذه المرحلة هو الخلع الاستراتيجي من المنطقة وفي المنطقة، والمتمثل في إعادة هيكلة الوجود الأميركي في أفغانستان وليس بالانسحاب الأميركي من أفغانستان، بعد اعادة هندرة الوجود الأميركي في العراق، والذي صار يعود من جديد عبر ما يحدث في الأنبار وتحت عنوان مكافحة الإرهاب، من هنا تأتي أهمية إرباك المنطقة الشرق أوسطية كحاجة أميركية للخروج من متاهاتها العميقة، عبر إعادة تموضعها وحصر أولوياتها وتنازلات هنا وهناك، للوصول الى تفاهمات مع التكتل الدولي الآخر وعنوانه موسكو. ولسان حال الفدرالية الروسية يقول بأنّ هناك حصارا تحاول الولايات المتحدة الأميركية ضربه حولنا، من قلب أوروبا وحدودنا الحيوية في مواجهة شبكة صواريخها هناك، حتى آسيا الوسطى. فالمسألة تبدو بالنسبة إلينا كأنها استعادة أميركية كاملة للأجواء التي كانت سائدة بيننا قبل نصف قرن، لمجرد أنّ واشنطن أدركت فقدانها لأحادية قطبيّتها العالمية، عادت معالم الحرب الباردة، ثم لدينا مصالحنا الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية في المتوسط، لم يعد لدينا موطئ قدم هنا إلا في دولتين اثنتين: الجزائر وسورية، ومن الخطأ الفادح التفريط بأيّ منهما، خصوصاً في سورية الدولة المركزية المحاذية لكلّ قضايا الشرق الأوسط والمشرق العربي، فضلاً عن القضايا الملامسة لبعدنا الاستراتيجي في أوراسيا وحدودنا الجنوبية.

*عضو المكتب السياسي للحركة الشعبية الأردنية
Mohd—ahamd2003@yahoo.com
www.roussanlegal.0pi.com